

كتاب الإحاطة

لأبي محمد عبد الحق بن سبعين المرسى الأندلسى

[٤٤٤] بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم كلامٌ مشيرٌ بوجه ما يشبه كلام البشر ، وإشارة ناصح في كل الوجوه يعقل قدر الأثر . قلت إن كان تحصيل الكمال الإنسانى والمقصد الأقصى والشيء الذى هو من قبيل الشيء الذى ينال بعد نيل الشيء الذى يشترط فيه سر المسجد الأقصى ويخطف بعد عجز النهى ، ويقطف من شجرة « وإن إلى ربك المنتهى »^(١) لا من شجرة طوبى وسدرة المنتهى مما يمكن فى الإنسان من غير أن يبحث عنه بالعلوم العلمية والعملية ويقتصر على تصوره وتصديقه ، وعلى ما يتم ويقتضى فيها ولا يمتحن نفسه وعادته بالحكمة التى تقبل المعنى النافع حسب ما يعطيه ويقتضيه طبيعة البرهان ، ويصح له بها ما يجب كما يجب على ما يجب فى الوقت الذى يجب ، ولا يكون بالجملة باحثاً ولا متأهلاً فهو — والله أعلم — فى الانصراف إلى ما يجده الانسان من نفسه ومن القوة الشاعرة بالقوى التى فيه المتوهمة التى تنصرف إليها المعلومات والمدرجات كلها ؛ وهى مثل الكليات التى إحاطتها بها ، وكل مركز بالنظر إلى جذبها إياها ، وكالصور المقومة بالنظر إلى وجودها معها ، وكالصورة المتممة بالنظر إلى اعتبارها . فالسعيد الظافر بها . وهذه القوى ترجع إلى قوة تسمى الكلمة الجامعة المانعة المحيطة بكل ما يتوهم أو يتحقق أو يتوسط فى أمره ، وهى المعنى المشار إليه والمعول — بحول الله تعالى — عليه . — وأول تلك القوى هى [٤٤٥] القوة النزوعية الجاذبة الدافعة ،

(١) سورة «النجم» آية ٤٢

وإن شئت قلت : الإرادة وقوة التعلق التي تربط في الوهم الصفة بزائد على الحل وتكون داخل الذهن وخارجه ، وإن شئت قلت : الإدراك والقوة المحدثّة التي يتكلم بها الضمير وتتأتى بها المحاطبة في الخلد ، وهي لسان الوارد والإلهام وبعض أنواع الوحي ، وهي الهاتف أو محله بوجه ما ، وإن شئت قلت : المفصلة والخبر ، فإن جميع ذلك يرجع إليها ، وقوة الملكة وهي المعرفة والحركة والباردة والمسكنة ؛ وإن شئت قلت القدرة والحيلة محمولة في جميعها أعنى القوة المذكورة ، غير أنها عارضة لها أو شبيهة بالعارض بالنظر إليها مجردة ومن وجه وجودها الرسمي فقط . وتلك القوة المتقدمة التي قلنا إنها جامعة مانعة متحركة ، ولا تحرك وتحرك وتحرك بجهة وجهة ثم تحرك ولا تحرك ثم الجميع ، ثم تكون لا ساكنة ولا متحركة ، وهي التي تنزع وتدرك وتخبر وتقدر وتحد ، والذهن فيها وبها كأنه محيط بها بثبوت غير معين ، ولا يمكن أن يكون معها شيء : لا قبل ماهيتها ، ولا بعد ماهيتها ، ولا مع ماهيتها ، بل لا يمكن أن يفرض فيها القبل والبعد والمعينة . وجميع هذه القوى هي التي يحددها الإنسان في ذاته خاصة ، فدع عنك هذا البحث عن النفس الجزئية والكلية وعن العقل الكلي وعقل الكل والعقول الثواني والذوات المختلف فيها بين المشائين وغيرهم وبين الشرائع والنواميس الوضعية وسائر المذاهب ، والروح الكلي على مذهب الصوفية ، والمراتب [٤٤٦] المتوجه إليها على رأى بعض أهل الحق ، وبالجملة الروحاني والجسماني ، فجميع ذلك إليها ينصرف وهي له كالأنموذج أو ^(١) كالهياكل بوجه ما عند الضعفاء وهي الكل عند القوى المدرك . ثم إذا نظر إلى ضميره وصرف الأربعة المذكورة إلى القوة المتقدمة المحيطة بالكل ، وكذلك يفعل في جميع أموره الواجبة واللازمة والعرضية ولا يترك شيئاً من المعلومات الأربعة : أعنى الواجب والممكن والعدم والحال ، وجميع ما أدركه الحس أو تطرق إليه الوهم أو دل عليه الدليل أو

علم بالبدئية ، ولا الوجود المطلق والمقيد والمقدر إذا أراد أن يقف على الحق ويعاين مرغوبه بعين كماله ويظفر بكمال حقيقته إلا صرفه إليها فتأنس بصيدها بالشرك الذى رسمنا فى « التوجه » و « الفتح المشترك » و « الرسالة الرضوانية » . ومما ينتفع به تصور الحياة السارية فى الموجودات والسكون المستند إلى الوجود وإلى وحدته . فإن تأنست ، وإلا تأمل الذات العرية عن المادة صعبة سكينه وأشخاص ثم الثبوت بها بشئ لا كالمستند إلى الشئ ولا كالمركز فيه ولا كالمربوط عليه ولا كالملتحم به ولا كالحال فيه حلول الماء فى الإناء ، ولكنه وجود يسيل ولا يقف ، ويستمر ولا يختلف ، ويشار إليه صعبة مجموعة الأول والآخِر والظاهر والباطن إشارة من شخص فيه فكان ثم كان ولا مكان ، ثم كَوْن المكان ودَبَر الزمان . فإن تأنست ، وإلا أكثر من فرض الاتحاد بالقوة الوهمية مع علمك بأنه لا [٤٤٧] يصح فى الواحد من كل الجهات لكنك تنتفع به وبه تخضع القوة المعللة إلى قوة الخبر فى قوة التحقيق . وتلك القوة المعللة مع التحقيق كالقوة الخيالية مع العقل والبرهان فى العلوم النظرية ، فإن العقل يقطع بالمعلوم ويحصره ، والخيالية تتحرك وتطلب ما وراء المنحصر ، واختبر ذلك بما وراء العالم وبالخلاء والملاء وما أشبه ذلك ولا تساعده من صفة نفسها . وفائدة الاتحاد ضبط النفس بعبطة ما وهمية ، عسى أن تقل حركتها وتنقد مباحث عادتها وتفرح بذاتها ، ويصح لك الشعور فى الضمير بالوحدة الخطوفة بالقوة النازلة من القصد إلى فيض الهوية التى يلحقها الحق المفروض المسمى بالروح والواسطة والرب المألوف والصفة ، كما يلحق الحسن الصورة .

فإن تأنست ، وإلا فاجعل إهمال البرهان الصناعى والأقيسة الصناعية والنفسانية وجميع أنحاء المقدمات التى ما بين الناس والقضايا العملية والشرطية — مقدمة ، والتوحيد الذى لا يصح معه توحيد بل يكفر به توحيد من لا يعلمه ، نعم ! وبواحد وموحده وتوحيده — مقدمة أخرى ، ويكون الحد الأوسط هنا خير الأمور ، والأصغر الوقار ، والأكبر التفريد ، والنتيجة العبطة ، والقياس الاستخارة ،

والبرهان انتظار الفتح . فاصبر على هذا الاصطلاح بقدر ما يظهر لك بالوهم بسلب السلب وإيجاب الإيجاب بل بسلب [٤٤٨] الإيجاب وإيجاب السلب أو تترك الجميع صحة ثبوته ولا تهمل ما تجده من جهلك بنفسك ولا تخف من جنونك في هذا الوقت فإنه عالم أكمل وهو الذي يسمى أكبر في كل لحظة وعندما تذكّر صورة هناك وبه تصل .

ومن صفة نفس هذا العالم الجهل بالأول والجهل بما يحتوي عليه . فإن تأنست ، وإلا تصفح أحوال الملة وأحوال وضعها وأهلها وخذ نفسك بالتقليل فيها لا بالتصريف ، لأنك تريد أن تنال الإدراك المتوحد الذي لا ينال بزائد عليه وهو مدرك ومدرك معا من كل الجهات .

فإن تأنست ، وإلا فافرض على وهمك تصور الفيض لكي ينقطع عنك الاستناد العلمى وتتصل بالصورة الحاضرة . فإذا وقفت هذا الموقف ولاحت لك نكتة الاتصال ، فاصرف الفيض إلى الوهم والصورة إلى أوله والحض إلى آخره والوقوف والاتصال إليك وتجد أنك ما غيرت ولا غُويَرتَ ، ولا تثبت على هذا الحال . وانظر فإنك أكبر .

فإن تأنست ، وإلا فارحل إلى رجل يدبرك بخواص الأسماء القائمة به . فإن نلت ما تريد وإلا فارحل إلى غيره يدبرك بالتصريف ولا تقبل العبارة في هذه المرتبة ولا الإشارة ولا اللطيفة ولا الدقيقة ولا الحقيقة إلا من جهة الشعور خاصة والنصيب الإلهي . ولا تقل : نعلم الوجود ونحيط [٤٤٩] بالموجودات ، بل تقول : نجد الوجود ونتصرف في الموجودات ونحتاج أن نصل إلى دار — يستجيب فيك الجميع ويكون المخالف عندك أكثر من المألوف وتتبع ذلك حتى يكون الأمر بالعكس ولا تقنع حتى تجد الذوات المجردة من تطورك والممكن من وهمك والحال من خبرك والواجب عينك والرب المألوف حرفاً^(١)

من حروف دينك الذى قَرَضْتَهُ لا الذى فَرَضَ عليك فقد كان ذلك ونسخ بالمضار ، وعاد كلامه عن وجل افتقارك إلى تعيين ماهيتك حالا وخبرا ، ومشاهدته بسكون أخبارك هُوِيَّةً وَآيَّةً ، وتوحيده وقوفك على رشدك الثابت المعصوم بوجه ما .

فإن تأنست ، وإلا فاعلم أن أمرك من فوق التصرف والعلم الثانى والثالث الذى لا حاجة للمقامات فيه ولا مدخل ويجد عند الخواص نعم وعن الأسماء الحسنى فإن المقامات لا تصح مع جميع الموجودات فى وحدة محضة ؛ ولذلك الخواص لا تفرض فى معنى فينعكس قبل فرضه ويتنوع من صفة نفسه من حيث يثبت والمعلوم من كل الجهات لا اسم له يميزه عن غيره فإن ذلك ممنوع . فقل لا حاجة لى بالصورة ، ولا منفعة فى التوحيد ، ولا خير عندى فى الفيض ، ولا سعادة فى الحلول ، ولا فائدة فى الاتحاد ، ولا شوق إلى مقام ، ولا غبطة باسم يغاير أو يتردد فى أمره ولا يحتاج إلى خاصة ولا إلى الخواص الذين أحوالهم منحطة وأحكامهم واقفة . فإن الحق قبل ذلك كله ، بعد ذلك كله ، عند ذلك كله ، عند آخر ذلك كله . — وسلم على ابن عبد العريف وعرفه لا بتعريفه وخطه على عريفه ونكرة معرفته وكفر معروفة وسرى معروفة وسد [٤٥٠] معارفه . ثم انظر إلى الاحاطة ، وتأمل ما فيها ، وحرر القول فيها . وعندك أن تحصيل الحاصل محال ، والعدم من كل الجهات لا يُظْفَر ولا يُظْفَر به ، وأن قولك الحق والوجود والشئ والأمر والذات وما أشبه ذلك من الأسماء المترادفة مع الاحاطة ؛ وقد يقال معها بتواطؤ ، بل هى الكل وإن صح أن يقال كل الكل والعموم والخصوص والفرد والزوج والعدد والمعدود ثم غير ذلك من حيث هى ذلك . وبالجملة افرض أن المطلوب فى شئ واحد ليس إلا وهو واحد وأكبر من أن يقال له واحد بالجنس أم بالنوع أو بالشخص أو بالفرض أو بعدم الانقسام أو بعدم المثل أو بالواحد الذى لا نظير له بالقوة ولا بالفعل أو الواحد الذى ذكر فيما بعد الطبيعة ، بل الذى ذكرته الصوفية ، بل الذى وجدته فى

أذواقها ، فإن ذلك كله انجرار الوهم . وكذلك الصورة التي يقال فيها إنها هو وإن الجميع جزء ماهيتها . وكذلك الواحد الذي يظهر أنه كالعارض للماهية ، ويشبه الوجود . وأن الواجب هو هذا والغير كالماهية المتقدمة ، وقد يتوهم أنها الممكن وأن سوى هذا الوجود أو الموجود له وجه ذاته وهو الافتقار الحض ، ووجهه إلى هذا الوجود به هو موجود . ولا توحيد الجنة ولا توحيد أهلها ولا توحيد من قال : « جل جناب الحق أن يكون مَشْرَعاً لكل وارد » ؛ ولا توحيد من قال : ما وَحَّدَ الواحد من واحد . ولا توحيد من قال : لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره . ولا من قال : كيف يرى من به يرى . وبالجمل ، الواحد [٤٥١] منحصر في أربعة أجناس : الواحد بالاتصال ، والواحد بأنه كل وتام ، والواحد الأول البسيط في جنس جنس ، والواحد الكلي المقول بتقديم وتأخير على جميع ما عدد فيما بعد الطبيعة . فجميع ذلك لا خلاص فيه ولا خالص من حيث الكمال الذي فيه جميع الكمالات الثلاثة أعنى الكمال الذي يقطع الوهم ويحقق الحق ويستجيب الجميع فيه لا على ما ذكر ويمكن ، ونكتته تتحرك وهو يتحرك معها ، وغبطته مقصودة كذلك ، ويشبه بالمغناطيس الذي يلزم فيه الدور لمن فهم وضرب هذه الكلمات ثم صرفها . وهذا العلم في الخلد قبل التصور والتصديق لا بعدها . والجاهل الحكيم هو الذي يقول : الحياة شرط في العقل ، والعقل شرط في العلم ، والعلم شرط في العمل ، والعمل شرط في الفضل ، والفضل شرط في السعادة ، والسعادة شرط في الخير ، والخير شرط في الكمال ، والكمال شرط في الوحدة ، والوحدة هي شرط في المطلوب ، والمطلوب هو الذي يقال بترادف مع الأشياء وتواطؤ قبلها ، وباشتراك بعدها ، وبترجيح معها له ، وباشتقاق فيها إليه وبارتجال عنها منه ، وباستعارة فيها له .

والفاضل العليم يجعل الشرط في مكان المشروط ، والخليفة الحكيم يجعل الشرط المشروط من غير تقدم ولا تأخير . والحكيم العليم لا يجد ذلك لكونه ذلك .

خُذْ واحفظ الوقت واصرف ذلك إلى الوهم وإضافته ثم إلى المعنى الحاصل من غير تعليل ولا توقف ولا إهمال . فنرجع إلى الإحاطة المذكورة فنقول : إن الخارج عنها ممنوع ومعدوم لما قدرنا ، [٤٥٢] والداخل فيها قد أحاطت به هي حتى بقول داخل وخارج ، فإنها لا تحيط بأعداد ولا بذوات مميزة ولا هي كالمكان ولا يمكن فيها المكان ولا الزمان ولا العدد ولا الإضافة ، ولا الأخبار ، لأنها إذا كانت الكل كانت بمعنى واحد ليس إلا ، فهي إحاطة تدور على شبه السلب في الوهم الأول لأنها تجذب وتصرف وتحيل العدد إلى الواحد ، ثم تمنع زمان الإحالة وزمان الجمع وزمان التفرقة وكأنما لم يكن قط شيئاً مذكوراً إلا أنها الذاكر والذكر والمذكور ، وبالجملة هي واحدة في الكل واحد واحد بحسب ما ذكر ، فكيف بحسب ما يراد أم كيفما يوجد ؟ وهذا لمن تصور الوجود والعدم وقال كذا وكذا وهذا وذاك وأنا وأنت وأنتم وما أشبه ذلك . ثم تدور حتى تهمل الخصص وتخصص المهمل ، ثم تدور حتى تصمت المثائل وتنوب هي عنه لأنها هو . والمراد بذلك ألا تحاطبه ولا يخاطبها ، والمراد بذلك قطع التتابع والانفصال ثم تدور عليه حتى تكون الحق ، ثم تدور عليه حتى يكون الحق والباطل فيها ، ثم تدور عليه حتى يُحقق الحق والباطل يبطل ثم ترجع له دائرة وهمية يفعل فيها ما شاء ويصرف من شاء عن شاء ويصرف إليها ما شاء كما شاء ، ثم تدور عليه وتكون مُصَمِّتة حمدية لا جوف لها وتكون حضرة يكون فيها الحق ولا شيء معه . والأول كالعرش ، والثاني كالكرسى ، والثالث السموات ، الرابع العناصر ، الخامس المولدات ، [٤٥٣] السادس الحركات ، السابع الأكوان ، الثامن الحياة العادية في الجميع ، التاسع الحى ، العاشر الصورة الجامعة ، الحادى عشر الكبير بالقول الواحد بالوضع . وهذا كله هو فيها ، وهذا كله من فرض المتكلم ، ومن قبيل الشائع في العرف الجارى وبالنظر إليها هي تدور عليه وتديره حتى عن قوله إيه . ومعنى تدور : تحيل الأشياء إليها ، ومعنى تحيل الأشياء إليها لكي ينقطع الوهم ، ومعنى ينقطع الوهم

أن تكون هي عندك الأشياء بجملتها ، ومعنى أن تكون عندك الأشياء بجملتها أن تكون هي أنت ، ومعنى أن تكون هي أنت أن لا تكون أنت ولا هي . وهذا يكون من حيث الفرض والعدد والوهم لا من حيث الوجود . فإن الواحد من كل الجهات لا يصح فيه إلا ما قلنا . فنرجع ونمنع جميع ما يفرض فيها أو يهيجس أو يعلم وما أشبه ذلك . لا يقال فيها لفظة لأنها غير منسوبة لشيء ولا موضوعة في شيء ولا يقال فيها كالجُزء من الخط ولا تجعل في الوهم مفروضة ولا كالبذر للنبات ولا في سطح شيء ولا في وسط شيء ولا على شيء ولا من شيء ، ولا تمثل بالجوهر الفرد ، ولا فقدها قط الفرد ، ولا تكون مكيالا للعدد ولا مفهوم الواحد الأول ، ولا هي حرة عن ذلك ولا كالدائرة فإنها لا تحيط بما يفرض عليها أو فيها لأن النقطة منها تشبه الخط والخط يشبه الدائرة ، بل كل ذلك خط ، وكل ذلك نقطة ، وكل ذلك دائرة ، والأبعاد الثلاثة في الواحد منها كالواحد الثاني من كل واحد منها ، فلا أبعاد فيها على كل حال من حيث المثال المتوجه [٤٥٤] ومن أثبتها فقد جاز الأبعاد ، وبالجملة لا تمتد ولا حركة فيها لأنها لا تبدأ من شيء ولا تمر على شيء ولا تتصل بشيء ولا تفتقر إلى محرك ولا تكون محركة لأنها ذلك بكليته والشيء لا يتعدد في ماهيته من حيث الماهية المستقلة لا من حيث أجزاء الماهية ، فإنها ماهية لا تفتقر إلى حد ولا يصطادها الحاد بالحد . فعينها أينها وأينها كونها ، وكونها كلها . المقولات نقطة منها والنقطة عندها كالخط والخط عندها كالدائرة فيها والدائرة فيها دائرة عليها لا وسط لها ولا قطب ولا يفهم الحكيم والقطب فهي بالله في الوهم وهي الله في الحقيقة .

إيه ! ومن الأوهام حتى قولك تدور وتكون وما أشبه ذلك ، وبالجملة المراد بهذا التنبيه إنما هو كالصوت الذي يوقظ النائم لا كالكلام الذي يطلب في مدلوله الفائدة ؛ فحي بن يقظان فيها ، والجاهل من الناس بل الحيوان والنبات والمعدن كالشيء الواحد .

إليه ! ثم نرجع ونقول : المطلوب الخارج عنها باطل ، والداخل فيها مثله كذلك لما أصْلَنَاهُ قبل أن يكون من قبيل تحصيل الحاصل ، وهو من الحال لأنها لم تغاير شيئاً ، ولا غايرها شيء ، ولا ماثلت شيئاً ولا خالفت ولا خولفت فهي كل شيء ، وذلك الشيء كل شيء . فصحح للظافر بهذه الحالة أنه الأول والآخر ، والظاهر والباطن . فإن كان ذلك خبره فقد أفيد المقصود وهما ، وإن كان في خبره وحاله معا فقد أفيد تصريفاً ، وإن كان في ماهيته لكونه [٤٥٥] كان في غير ماهيته فهو وجود واجب . فمن أراد أن ينالها بالجملة ينصرف إلى الله العليم ، بل إليه هو أعنى القديم الحكيم ، وتحيله على التوجه والذكر لا على التعليم والفكر ، والله يسهل من جهة واحدة لا من جهة وحدته ، وبالجملة من كانت [الكنه] ^(١) ذاته في الخبر كان الكل وهما ، ومن كانت ذاته في الحال كان حقاً وقتاً ما ، ومن كانت ذاته في السكينة والتأييد والوجود الجائز كان الحق المنسوب بوجه أنقص . ومن كانت ذاته الحق المنسوب بوجه أنقص كان الحق المنسوب بوجه متوسط ؛ ومن كان الحق المنسوب بوجه متوسط كان الحقيقة بوجه أكمل . ومن كان الحقيقة بوجه أكمل وجد الله ، ومن وجد الله بوجه أكمل أو بما يجد ذلك كان الله ولا شيء معه ، ووجد الأشياء في ماهيته غير منفكة ، ووجدتها قد قبلت على ذوات وهمية ، ومسميات خبرية ، ومستدركات متصرفة . فسبحان الكبير بالقول الذي يقال فيه شيء وأشياء بالوهم الواحد بالمعنى ، والوتر بالفرد ، والفرد بالوضع . وهو واحد حتى في وحدته ويحق لكائن أن يقرأ « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » ^(٢)

(١) بالهامش النكه كذا . والأصح حذفها .

(٢) سورة « يس » آية ٨٣ .

إليه ! من علم العبودية حقيقة علم الله عز وجل وهما . غلاف العالم الأول وأعوانه^(١) الذى يقولون : « من عرف نفسه عرف ربه » . وهيهات ! المعروف الذى إذ نظر إلى وحدته صحح أنها واحدة حتى فى العدد والمعدود ، إذا انقسم لم يعلم فلا تقديم ولا تأخير فيه إلا وهما ، ولا شرط ولا مشروط ولا سبب ولا مسبب ولا علة ولا معلول [٤٥٦] ولا واجب لغيره ، ولا ممكن فى ذاته ولا محال فيها محال تابع لهما . فاقبض وابسط وحلل وركب يصح لك . غير أنه إن قلت كل ذلك لم تكن قلت الحق وقيل لك كذبت . وإن قلت ذلك فى واحد والوهم متصرف قلت الوهم وقيل لك صدقت .

إليه ! فمن علم الأمر بكماله علم الروح ، والروح هنا شئ ما لمعنى ، لأنه فاعل أو منفعل . ومن كان ذلك كان نور الله المظلم ، ومن كان نور الله المظلم كان روحه القائم فى الأشياء كما قيل كان نور الله الكاشف . ومن كان نور الله الكاشف كان روحه القائم بذاته . ومن كان روحه القائم بذاته كان هو الأشياء بوجه أنقص . ومن كانت الأشياء هو بوجه أنقص كان الإحاطة الصمدية . ومن كان الإحاطة الصمدية كان هو الأشياء بوجه أكمل . ومن كان ذلك بجملته كان الكامل المذكور الذى ذكرناه فى قولنا « إن كان تحصيل الكمال الإنسانى » إلى آخره ، وكان المكمل لما سواه فكان الحق المصطلح الذى يظفر به بالجملة الحاصلة المذكورة ، ويصح له بعد ذلك أن يظفر بالحق الذى يظفر به واختبر ذلك بطريقة القياس وأسباب العادة ، لا بحقيقة القياس وعرف العادة قدر أنك لا تلتفت إليها وتشرع فى تقسيم المعلوم إذاً إلى الأوهام التى ذكرناها قبل وتقف عند الموجود ، وتحقق الوسائط والآلات والأمور والروابط بين الممكن والواجب والعلة والمعلول ، وقصد [٤٥٧] إلى القصد الأول والثانى والفصول المشتركة

(١) بالهامش « وأعوانه » كذا .

وعالم العقل الذى يذكره أفلاطون فى قوله إن العلة الأولى فى فصل النوع الأخير، والعاء الذى تذكره الصوفية والأمثال المعقولة والكليات والمبادئ والمراتب والتقديم والتأخير والقدم والجبروت والآنية والهوية ومن هويته آنيته ومن هويته غير آنيته ، ومن يعرض للشيء ومن حيث يكون ذلك الشيء موجود بالعرض المذكور ، ومن لا يكون وجوده عارضاً لماهيته ، ومن تكون ماهيته لا كما ذكرنا بالوجود هو حيز ما ذكر ، وتحقق الدهر والحركة والزمان وما صدر من العلم والنسب ، وما كان بالقصد والسبب ، وما كان فى الشيء الذى لا وجد لمشيئته ثم تأخرت ولم تزل وتقدمت ولم تكن ، ثم ألزمها الحدوث فى خبره والقدم فى علم مخبره ، والوجود شبه الواسطة أو كل ذلك ، وتحقق حق النقطة والمبدأ . وتقول : الموجودات التى حصرها هذا الوجود عشرة ، أو محمول وموضوع ، ثم تقسمه وتقول : الوجود ينقسم إلى موجود قديم بغاية ، وإلى قديم بغير غاية . فهذا الذى لا غاية له هو الله الواجب الوجود العلة التامة . خواصه خمسة عشر . وهو يوصف ولا يرسم ولا يحل إلا بالفرض الملائم أو بملاحظة القائم ، أو الخبر من قبل الهائم . وأسماءه الأول تنقسم إلى أسماء ذاتية كالحق والواحد وأزل وما أشبه ذلك ، وأسماء صفته كالعليم والسميع والبصير وما أشبه ذلك ؛ ومن أسماء فعله الخالق والرازق وما أشبه ذلك ؛ [٤٥٨] وأسماء تنزيهه كالقُدوس والجليل والعزیز وما أشبه ذلك ؛ وأسماء التعظيم كالقادر والقاهر والغنى وغير ذلك من الأسماء المشتقة ، تمتد بامتداد المعلومات والمضمرات ، وتصل إلى الحق من ألف ، فلا نهاية لها بوجه ما . والمشتركة والمرتبطة مائة وواحد عند بعض الناس ، والمنقولة تسعة وتسعين ، والاسم الأعلى مذكور فى سورة « النساء » ومكتوب فى « الأنعام » ومقروء فى « الأعراف » وموجود فى « سبح اسم ربك الأعلى » . ثم تصرف هذه الأسماء صفات ، ثم تنظر هل تكون زائدة عليه ، أو ليست بزائدة ، أو يكون فى كل واحد معنى كل واحد أو هو هى أو هو ، أو البعض منها هو والبعض منها هو والبعض ليس

كذلك ؛ ومنها ما يقال فيها لا هو هي ولا هو غيرها ومنها ما يجعل غيراً محضاً أو يكون كالقوى الزائدة . ثم تنظر إلى ما تقدمه غاية ، وتقسمه إلى جوهر وعرض ، وإلى المجتمع منها وهو الجسم . ثم تنظر إلى الأكوان وتقسمها إلى الاجتماع والافتراق وتقول الجسم هو المؤلف ، والجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو الفرد إلا من مثله ، وهو الذي يأخذ قسطه المساحة ويمانع ويقبل^(١) العرض من كل جنس وتقوم به الأحوال المعللة وغير المعللة ، وله جرم واختلاف فيه : هل خلق ساكناً ، أو متحركاً ؛ والأظهر فيه السكون . وكذلك اختلف في شكله في تقسيم العرض [٤٥٩] إلى غير وخلاف ومثل ، وتقسمه إلى مدركات الحواس وقد وصله بعض الناس إلى أربعين وإلى أكثر من ذلك . وقد يحصر ذلك ويقال : الله وأفعاله . وتحرر العبارة فيه ويقال : الوجود والمقيد والمقدر . ومنهم من قال : الوجود الأول الذي لا أول لوجوده ولا سبب له مقوم لما بعده . ومنهم من قال : كل شيء يحتاج أن يخرج من القوة إلى الفعل فهو القائم المقوم المتّم . وقد يقال الجليل المعبر الذي يتردد الذهن في ثبوته ويعجز عن تصوره . لكنه يشير بمعناه إلى جلالة مطلقة ، ويشعر بها لها في ماهيته هو . وهذا الشعور هو وجوده وبه كان . وقد يقال الله كما قيل ، ثم الهباء ، والذرة ، والقلم ، ثم الواحق ، والأجناس ، ثم الأنواع والأشخاص ، وقد يقال الملائكة المطلقة ، والوجود المتسع ، والتسعة والتسعون وسيلة والمنوط بها وما وراء ذلك . ويحمل على أكثر من واحد ، وقد لا يحمل . وإن شئت قلت : الجوهر ينقسم إلى الجسماني والروحاني < والروحاني > هو الذي لا يكون متحركاً ولا ساكناً ، وهو ينقسم إلى عقول ونفوس سارية في الأجسام الفلكية والطبيعية ، وإلى الصور المجردة ، وإلى الهيولى الأولى بحسب مذهب ما . وقد يقال العقل ، والنفس الكلية عند من أثبتها . والفلك

(١) ص : يقل .

ينقسم إلى تسعة أشخاص بحسب رأى الأكثر : فأول الأشخاص المذكورة
 الفلك الأطلس الحامل الذى يتحرك الحركة اليومية وحركته من [٤٦٠] المشرق
 إلى المغرب وكذلك رأس الجوزهر^(١) خاصة ، ثم الفلك المكوكب وكواكبه ثابتة
 وفيه المنازل والبروج المنسوبة إليه بالصورة ، وإلى الأطلس بالحاذة والقسم والحصر ،
 والصور والكواكب المنيرة وغير المنيرة والثمانية والأربعون صورة منها شمالي ومنها
 جنوبي ، والقطين الجنوبي والشمالي ، والحجرة والعقوبات ، واليمنية . ثم
 الأشخاص الباقية المتحركة كل كوكب منهم له خمسة أفلاك : الممثل ، والفلك
 المائل ، والفلك الخارج المركز ، والحامل ، وفلك التدوير . وتقاطع الجوزهرات
 والنوهرات وذوات الذوائب . والصحيح أنها تحت مقعر فلك القمر كما برهن
 عن ذلك أرسطو في « الآثار العلوية » وأثبت أنها من بخار يصل إلى هنالك .
 وكيف بداية هذا الكون على كلام بلنياس^(٢) في تكوين الكون من مُحدَّب
 فلك الأطلس إلى مركز العالم وكيف دوام الحركة في طول الأزمان حتى ظهر
 المزيد مما يطول شرحه في كميته ، وكيفيتها . وأن الشمس تطلع على قوم
 دون قوم وتكون في ساعة على قوم نهار وعلى آخر ليل ، والمركز ساكن بسرعة
 حركة المحيط ، وظهور المعدن والنبات والحيوان ، وينقسم المعدن إلى ما يذوب
 ويحترق وإلى ما يذوب ولا يحترق ، والنبات مما ينجم ويشجر ويقوم على
 ساق ، وينقسم الحيوان إلى ما يتكون ويلد ويبيض . فإذا اطلعت على علم الهيئة
 وتخلصت لك هذه [٤٦١] القسمة وجميع ما حلت وقسمت لكي تتبين به
 طمأنينة التأنيس ، وترجع بعد خلاصك من القسمة المذكورة إلى قبل نفسك
 تجد فيها جميع ما ذكر بوجه ألطف وهي له شبه أنموذج ، فتعود إلى الإحاطة

(١) الجوزهر : هو النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك اللتان تسميان العقبتين ؛
 وهي كلمة فارسية بمعنى : صورة الجوز أو صورة الكرة .

(٢) يقصد بلنياس الطوائى صاحب كتاب « سر الطبيعة وصنعة الخليقة » راجع عنه كتابنا :
 « الانسانية والوجودية في الفكر العربى » ص ١٨٥ — ١٩٠ . القاهرة سنة ١٩٤٧

المذكورة التي خرجت عنها وأضربت عن تصورها ثم تجد خبيرك كأنه الكل ويحتمل الكل وتسمع أمثلة الجميع فيه وكأنه إحاطة أخرى . ثم تنظر إلى ذلك تجده يفتقر إلى معنى ما غير معين لكنه يعمه . وذلك المعنى هو الإحاطة المذكورة ، ثم ترجع فتتنظر إلى القسم المشار إليه المدرك خارج الذهن ، وإلى القسم داخل الذهن فتجد روح العالم الكلى وجسمه المطلق يحكمك في أمرك والوهم الذى فى هذا الموطن تجده كأنه محيط بالإحاطة المتقدمة وهو من حيث يحيط وها يماثلك ، فإن الأعم والأخص والأصغر والأكبر لا يمنع الشبه ولا يصل المثالية عن طريقها ، وإن تغاير المثالن بوجه ما من جهة المكان والزمان فلا يتغاير الوجود الذى يقال عليهما بتواطؤ . ثم ترجع إلى الوجود الذى ظهر عنه هذا هو فيه أو منه إما ما يمكن فيه أو ما وجب له فتجده أعم من الثلاثة فتكون إحاطة الإحاطات . وقد يقال إحاطة حقيقية تحيط بكل إحاطة وهمية وهذه الإحاطة مع المتقدمة قبلها كالتقوى المتقدمة مع الإحاطة المتقدمة وهى التى انصرفنا إليها ، وهى هى فقط ليس إلا . ثم ترجع إلى خبرك فتجد الجميع فيه ، وهو مع هذا يتحرك إلى أكبر وأكبر مما يقال له أكبر ، وهو الكبير المتعالى الذى يخضع له الوهم المحيط المحيط به ويسجد له من حيث الاستحقاق جميع ما ذكر ، بل يعلم [٤٦٢] بوجه ما من جهة ثبوته فى المغايرة لا غير . وبهذا يشهد الحق المطلق بالكلمة الجامعة المانعة الذى تقدم القول فيها وتوسط وتأخر . وهذا هو الشرط الذى يدفع به كل شىء من طرفه إلى وسطه ، والوسط الذى يجمع الكل مضافاً إليه ويسلم له فى إضافته الوهم الأول والآخر والظاهر والباطن ويقول كل شىء ، بل كل إحاطة وهمية ، بل كل إحاطة ثابتة ، بل الجميع الذى لم يقف القول فيه هالك إلا وجهه الذى لم يمكن أن يثبت معه شىء ولا يهلك معه شىء ، لأنه لو ثبت معه شىء غيره لكان الوهم ثابتاً بنفسه والإحاطة مختلطة والتوحيد مُهلكاً والكنه مختلاً والحال واقعاً ولو كان فى وقت ما ثم زال لزم أن يكون الحق موقتاً والتوحيد والكنه وما قبل هذا ممنوع لا

خير فيه . — وقد تبين لك بهذا كله ألا ينبغي لك أن تخرج عنها ولا يمكنك ذلك لكونك ذلك . فأينما تولّ فإليها يَكُنْ وجهك حتى إلى جهة الاضراب وإن عين البعد من عين الاقتراب ، لأنها المتعلق والمتعلق معا فاجتمعت عليك وانجذبت إليك لأنك إذا صرفت وجهك عن الوهمية تقع في الأخرى . فإن صرفته عن الأخرى التي هي الحقيقة لا تقع في غيرها لأنها جامعة ، وحيثما تجد الضمير فينتقل من الإفكة الصغيرة إلى الإفكة الكبيرة حتى يقف الحال به ، فالتى تحصر الجميع حصر الدائرة النقطة وكالاعتراض الشديد السقطة اعلم أن ذلك في [٤٦٣] الأوهام المنتشرة المنجزة وأنه قد حاد عن صراط الذين أنعم عليهم الذى لا شيء أرق من نسبته ولا أحد من سنته ، فسبحان الذى يتوجه به اليوم ويتضرع لديه وعليه ! والعارف يحط رحل خطئه بطويته على الإحاطة ويقرأ على كل خطة «وقولوا حِطَّة»^(١) . وكما لا يمكن أن يتخطى بالخطوة محيط خط السماء ولا يبعد المركز أن يتخطى بطبعه سطحاً ما كذلك الإحاطة لا يشد عنها شيء ولا يفوتها شيء ولا تحمل على شيء لأنها حصرت الأشياء ولا تحمل على شيء لأن الواحد فى نفسه لا ينقسم فى كل شيء ولا شيئاً شيئاً واحدة من جهتها من ذلك الشيء ؛ وذكر الأشياء وهم من الأوهام ذكر هناك للبيان واضطر إليه بين الثنوية بين مخاطب ومخاطب . فإذا فهم المقصود انقطعت العبارات والأوهام فى سجن الكافر الذى كفر بعبادته ولم يصل إلى مقامه ، كما أن الدنيا سجن المؤمن السالك . فمن علم هذه الصورة وحفظ بحافظته هذه السورة وأكل من صورة البر ، بل طاف به صور البر وحكم موج البحر وفوج البر وينال على هذه النعمة الحمد للعلم بخفيات الصدور الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويثيب على كظم نفثات الصدور . ومن خواصه التشتت والاتفاق والإيمان المحض ثم الاتفاق . تارة يقول : ذمّام الدنيا مذموم وهماهما مهموم ، وأخرى

(١) سورة البقرة آية ٥٨ ، وسورة الأعراف آية ١٦١

يقول : « البصير الذي لا يرفل في أثواب اللاهية ^(١) ولا يغفل عن ثواب الله » ،
وتارة تسمعه يقول : من صحا وصحح أسرار مح الله إسراره ^(٢) ، ثم الحق
لا يعرف [٤٦٤] معروفاً ولا يفعل منكراً ولا معروفاً ، ويخزن سراً باح به
معروفاً ويجيب هذا مفتح من البحر معروفاً وتبصره في وقت ما على شيء تضحك
منه فيه السنة والفرص ، وفي أخرى يبكي عليه فيه من أجله إذا فقد السموات
والأرض ، وتبصره قد يخلق بالعلل والكسل ، وتخلل بحمله الخلل والزلل ،
وتصرف في الضروري بالملل ، وبأقبح ما يكره في كل الملل . — هذا مما يظهر
له من جهلهم بدلاً من قبيح يفعله حقيقة ، ولا من جهل بربه ومع هذا
يقول : صلِّ رَحِمَكَ تَجِدَ الله تعالى قد رحمك ؛ — يستقيم في النكرة ولا يقام عليه
الحد ، ويخلف في المعرفة ولا يأخذه الرسم ، والحدیثات في الشر ويحیی في الخير
ويبعث ، ويستخلف في الجميع فيبحث ، ويحضر على سيره إذا سئل عن العارف
فيقول : الله . ولا شيء معه ، مَنْ إذا قضيت وفاء لك خاذه الأمل وفاته ، رجل
يجمع بين الضدين ، وينكر النجدين ومع هذا محتاط على محاله احتياط البخیل
على جواهر النقيدين . تريد تتخلص من هذا كله ؟ قل رَبِّ مالک ، وعبدُ
هالك ، ووهم هالك ، وحق سالک ، وأنتم ذلك . اختلط في الإحاطة الزوج
مع الفرد ، واتحد فيه النجو مع الورْد ، واتفق فيه السفر مع الفرد . وبالجملة ،
السبب هو يوم الأحد ، والمؤخَّذ هو عين الأحد ، ويوم الفرض هو يوم
العرض ، والذاهب من الزمان هو الحاضر ، والأول في العيان هو الآخر ،
والباطن في الجنان هو الظاهر ، والمؤمن في الجنان هو [٤٦٥] الكافر ،
والفقير هو الغنى . وهذه وحدات حكيم لا أحداث وهمية . والمؤمن الكافر
هو الذي يقول : سبحانه من جعل من كل فرد زوجين اثنين ، وجعل من

(١) ص : الهی ! . — وهذه الجملة وردت في عهد ابن سبعين لتلاميذه ، الذي نشرناه في

العدد ١ — ٢ من المجلد الخامس من هذه الصحيفة ، ص ٢ س ١٥

(٢) الإسرار : الظلمة .

زوج فردين ، وجعل من كل فرد زوجين اثنين ، ولم يكن قط في الوجود
ثاني اثنين ، بل يقول : سبحان الفرد الزوج الحضيض الأوج . ثم تخرج عن
هذا التوحيد المثالي ، ونفر عن هذا التجريد الخيالي . وتنصرف إلى قانون
العبودية المكتفية وتقول : الكامل الكافر بوجه ما يضر نفسه بمضرتين ،
ويلدغ من جُحْر مرتين ، لكونه يريد أن ينفعها بذلك منفعتين لأن الخائف
من لدغة الوهم الأول في العالم الأول الذي يحجب بالوعيد العبيد الأشقياء ،
ويضر بالوعد السعيد الصم الاتقياء ؛ جرم نفسه الاعداء ، فقافته السعادة ، وظلمته
فتنة العادة بخرق العادة ، والسالم هو الذي يلدغ فيموت ، ويعدم فيفوت ،
ويكون بعد ذلك حياً لا يموت . قَسَم الوهم أنفع للسالك ، وحجبه أجمع للهالك ،
وكل ذلك أكمل للمالك ، لأنه إذا قتل فقد ، وإذا حقق فقد ، وإذا أضرم
أوقد ، لم تكن النار أوقد . وبالجمله إذا نقص إدراكه كمل إدراكه فالتوجه إلى هذا
الجحر خير ، والإقامة في الجحر شر . فإنما ما جاء نهى المعصوم عنه صلى الله
عليه وسلم من جهة التكبر ، أو من جهة التعجب . وما أراد الكافر إلا على
الناقد الجاحد لنكال الآخرة والأولى ، أو كان منه نهياً للمتوسطين من باب الآخرة
والأولى ، وكانت كلمة دبرت للضعفاء بحسب عرفهم وأمثالهم ومكالمتهم لأمثالهم .
إيه ! الكمال كنه [٤٦٦] الكائن ، والجمال رسم الكامن ، والجلال
اسم المكين ، والجليل رب التلويح والتكين^(١) .

إيه ! هذه الكلمات كنز من كنوز الجنة ، بل هي ذات الرضوان والمنة .
غير أن ذلك لا يصح إلا بفهم الواضع ، وبقدر ما يفهم من كلام الوحيد الواضع .
إيه ! إثبات السعادة في التوحيد المحض مُحَضُّ الحرمان ، ونيلها في الموحد
بكونها كنه رضوان الرحمن !

(١) التلويح : تنقل العبد في أحواله ، والتمكين هو التمكين في التلويح ، وقيل هو حال
أهل الوصول .

إيه ! إياك أن تتوهم في هذا الرجل ما لا يحمل به ولا يصح في حقه ، فتكون من الخاسرين . والأصلح أن تكون من الحاسدين بالحسن الذي يستحسن بين السعداء ، الذي تركبت ماهيته من الغبطة وطلب التشبه بالأعلى وطلب الأخرى والأولى . « والله المثل الأعلى ^(١) » . والذي ينبغي لك أن تعتقد فيه أنه متوسط بين الخليفة المستقل ، وبين الكيس المتنقل ، وهو يستدل من حيث يمثل ، ويمثل من حيث يستدل . وأنه جاز على المعلوم المحسوب ، وتوسط في الوجود المنسوب ، وتوجه إلى الواهب المحبوب ، لا بالمكتوب ولا بالمكسوب . وبلغ سبب الأوهام المرشدة ، والأفهام المنشدة ، وهتك الحجاب ، وقهر الحجاب ، وفتح الأبواب ، وسلم الأسباب ، ورحل عن مكانها ، لكونه كان من كيانه ، وصح له بهذا أن يكون كنهه الإمكانيات لا كنهه الكمالات ، وأسقط التركيب والتحليل ، وبذلك تسمى ، وسلم الكنه الكامل باحترامه للمسيء ؛ وهجر الحد والرسم ، ووجل الوصف والاسم ، وتعلق بالأعظم ، رغبة في الاسم الأعظم ؛ وألزم طبيعته الطيبة المطمئنة الأدب ، وجد في الطلب والسبب وفي نيل الأرب ؛ يغيب [٤٦٧] تارة ويتوحد ، ويحضر أخرى ويتعدد ؛ ثم يغيب عن كل ذلك ، ثم يعود كذلك . وجميع الأمور — التي سمعتني نذكرها عنه التي هي من جنس ما يذم عادة وعقلا ، ويحتقر فاعلها فرضاً وفعلاً — تتوهم فيه من جهة الإضافة لا من جهة الانفراد ، لأن القبيح لا يسكن في اعتقاده ، ولا يتعلق بمراده ، وهو يتوجه على تطوراته ، ويستقيم في تصرفاته . وما عصى الكريم ولا أطاع وهما ، ولا نسى الحكيم أصلاً ، ولا جهل علماً . ففتى أبصرت بحر البصيرة يتحرك ، أبشر فإن دُرَّتْه تصعد من حضيض ظلماته إلى أنوار أوجه ، ومن مده وجزره إلى ساحله وموجه . واحذره أيضاً فإنه كما يدفع يجذب ، ومن حيث يُوجد يسلب . وتنشد ماهيته بلسان حال حالها . هذا الخبير الذي

(١) سورة « النحل » آية ٦٠

يستدعى حصر الذوات ، هو الحكيم الذى يستوفى كنه الهيئات .
 إيه ! فإن كان من بعض من كان عن ، فهو الملك الذى فى ملكه المكان ؛
 وإن كان قد أوثم من بعد بُعد ، فإنه الملك المسكين فى الكلمات .
 إيه ! الخارج فى بقيته المشتغل بالأوهام بعد محاسبته وجميع ما رفع فى
 مخزن التلف ، وذمته مستعارة أو بالسلف — تسعة أوهام : العقول ، والعلم ،
 والقياس ، والحد ، والنفس ، والعادة ، والإضافة ، والزمان ، والمكان . فإن
 عجز عن دفعها قبل السفر ، ولا يدفعها للإحاطة ولا للصور ، ويمتنع أن يتوسل
 فى أمرها بالسور أو بالسفر ، ويسوف نفسه فى محرم ويموت فى صفر — يخاف
 عليه أن يعذب عذابه فى لظى أو فى سقر .

[٤٦٨] إيه ! الإحاطة شبه مغناطيس والموجودات كالحديد ، والنسبة
 الجامعة بينهما هوية الوجود ، والذى فرق بينهما هو وهم الموجود .
 إيه ! العارف يعطف ويتعطف ، والحق يستعطف ولا يستعطف . إيه !
 من صادر الأوهام سقط حظها عنده ، وكان عظيمها عنده ؛ ومن عكس
 انتكس . إيه يا هذا ! أنت به ، فإنك له وبه .

إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه ! إيه !
 هذه تنبيهات روحانية ، وما بعدها مطلوبها داخل الذهن ، وكشفت به
 المناسبة الإلهية وحصلته الأحوال الإلهامية ، وفى تخالف ما فيها فى المشروع
 وتمثاله فى الموضوع ، شارم^(١) الضمير بما عنده وبما يجد صحبتها من الحق
 الصريح من غير أن يشاركه فى ذلك عقل العادة . ولما كان هذا التنبيه يشبه
 الإحاطة ويأتم بها ، أردنا أن نلحق فيه ما هو من هذا القبيل وجعلتها تسعة
 تشبيهات بشيء ما . وهذه التسعة المذكورة تكلم عند رسمها المتكلم المذكور
 بكلمات ، وزعم المغتبط بها يصلها ويسمعا منه ، سواء غاب أو حضر أو صمت

(١) كذا ! ولعل صوابه : تشارك .

أو مات ، فإن الحقائق لا تفقد ولا تفتقد إلى كتب ، ولا تفقد بفقد الكاتب ولا تظهر بظهوره ، ولا تنشر في سطور . والحقائق إذا وصلت إلى هذا الموضع ينطق عنها الوجود ويحفظ الوقائع . فاحفظ [٤٦٩] أنت ذلك وحافظ عليه .
إيه ! ما تقول الإحاطة المستلزمة في شعر شاعر شعر بشعوره ولم يشعر بشاعره ، وشك في نأيمه وساهره وتحير في أمره ، ووجد في ظفره ما لم يجد في خبره ، وتعلق بجائزة وطمع في خيره ، ثم تشفع بشائل تشبهه فاستوحش ، فشفعه بالشفيع فتشوش ، ثم عقله بالوتر فتأنس ثم عكس وما انتكس ، وكشف المشعور به والشعور والشاعر وما تحسس ، ولا تجسس ، وتوحدت منه النفس والنفيس وأنشد :

من كان يبصر شأن الله في الصُّور فإنه شاخص في أنقص الصور
بل شأنه كونه ، بل كونه كُنْهَهُ لأنه جملة من بعضها وطَرَى
إيه ! فأبصرني ، إيه ! فأبصرته إيه ! فلم قلت لي : ألنفع في الضرر

قالت له الإحاطة المذكورة : وصلت فالزم ، وهمت فاعزم . قال لها العزم : في الواقع غير جائز ولا نافع وقد كنت فكرت في عزيمتي ، ولذلك ما أدبرت في هزيمتي . قالت له الإحاطة المستلزمة جميع ما جاء بواعظة الفكر ، وكل ما قيل حبة القوافي والفقر متصرف إلى محسوب على ، والوهم عينه ووقته وأيَّنه . قال لها : قد علمت ذلك في الشعور الأول وفرغت منه . قالت له : من فرغت منه كنت عنه . قال لها : فما الممول إذا ؟ قالت له : قطع التوجه هو الوجه الذي به تراني ، وذلك الوجه توجهه دار إلى . فما أفتح ضد هذه [٤٧٠] المقابلة ! وما أملح جذب الوهم بالمقابلة ! ثم أنشدته ؛ وبها أرشدته ، وذكرت له بيت لبيد^(١) ، وقرأت عليه : « وما ربك بظلام

(١) أي : ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

للعبيد^(١) . ففهم عنها وبذلك كان منها ، وظفر بأمنيته ، وزهد في زور الوهم وكذب أمنية واتحد واحده بواحدة ، وتوحدوا بفضل من حضيض العدد إلى ذروة الأحد . ثم نظر إلى ماهيته الثابتة في معناه العدمية التي يشار إليها من هويته العرضية الوجودية التي هي آنية الممكن عند الفلاسفة ، ومبدعة عند الأصولية ، وشبه ذلك عند المعتزلة ، ومعيدة له عند بعض الصوفية ، ومقومة عند بعضهم ، وهو ولا هي عند الأكثر ، وعند بعض المحققين نقطة مستقلة ثم قضية مفردة ، ثم ما ذكرناه قبل . فأنكشف له أن الوهم أوهم لواجده حتى لحقه الوهم في وحدته ، وقسمها قسمين فصار القسم الواحد للآخر كالجأحد ، ثم زاد الأمر وانقسم ثم صار أكثر من واحد حتى احتاج إلى شاهد وعسر وجوده فإنه موجوده وهو بعينه معتده . فطلبه الشاهد من العلم فامتنع ، ثم طلبه من العمل فارتفع ، فأنصرف إلى الشاهد وطلب منه الشاهد فوجد عنده الشهادة ، ومات على هذه الشهادة فخضع له وطاب وانطبع ، وحكم له الحق فجمع القسمين في واحد وقال له : لم تكن قط أكثر من واحد فعند ذلك قالت ماهيته لهويته : [٤٧١] أنت أنا . فسمعتها الآنية فقالت لها : أنتما أنا . فاستجابت لها الإحاطة وقالت : أنا آنية الآنيات ، وهوية الهويات ، وماهية الماهيات ؛ وكل ذلك قل أو أكثر معنى واحد وذلك المعنى هو أنا ومن قال معي أنا أوقعته في العنا إلا أن قالها من حيثي ويصرف الشاهد والمشهود إلى جميع الأوهام ويدور بالسلب من أجلى . على حينئذ يكون أنا قال لها : قد كان ذلك ، قالت له : فأنت أنا ، وأنا أنت ، وأنت وأنا معناه أنا . وهذه كلمات نافعة إذا لم تنصرف إلى الافتقار ، ولا تتطور في مرات الوهم والافتقار ، وتنصرف باللهو واللعب وتكون مكانتها من الوهم والكذب ، ولا خير في خطبة غالبة ومكانة باطلة .

إيه ! جميع ما تسمعه من الرجال يذكرونه في حق المؤمن الكافر والكافر المؤمن حاصله هو الذي يكفر بما لم يؤمن بما أنزل الله على عباده الذين اصطفى ، وبما يجدونه فيما أنزل على نبيه المصطفى ، ويكفر بمن يكفر بأحوال الرجال وبكونهم يطلقون الكفر بتقديم وتأخير ، وباشتراك الاسم ، وبجهة وجهة ، ويكفر بمن ينكر طول ظهورهم وتطورهم ومنازلهم ومنازلاتهم وطبقاتهم ، ويؤمن بغيبيهم الذي يغيب فيه الغيب ، ويحقق فيه البذاءة الأصلية والعيب ، ويصدق بجميع المراتب وبكل ما يتعلق بالدور الراتب ، ويغتبط بامام أمام أسوة ذى الذهن الثابت . فسلام على عباده الذين [٤٧٢] اصطفى ، ومنهم محب هذا الجليل ، وارث محمد ، وحسبة آدم ، وقُرّة عين الخليل ، ولثله يقال عبد الجليل .

إيه فقط ! إيه الملة أعظم من أهلها ! إيه عز على إيه ليت شعري إيه ! فَيَهْم البعض وجهل الكل بوجه ما . إيه للحروف معنا ! إيه وللأسماء أسماء ! إيه والعادة مهلكة ! إيه ومن انصرف إلى نفسه نفس عنه . الدور عجيب ! إيه القرآن كنهه الكامل . إيه الله فقط ، لا شك في ذلك ! إيه ! أردت بيايه أن هذه الخطابات نشأت بين مخاطب طابت أنفاسه وبين مخاطب طيبة أنفاسه ! إيه الوهم يضر وينفع الخاطر القوى ، يقال التوجه شيخ البصير ، ذكر أن المطلوب في الخلد محبة الشوق يهدي . ملازمة الدعوة عون الله . الوحدة حضرة الواحد وغبطة المتوحد . رسول الله لا ينفك عن القصد ، ولا يفك أسره خوف . ما بعد العادة حرمان ، والوقوف معها نكس ، والخروج عنها بأس شديد ، والاستعانة بها بؤس جديد ، واحالتها مما يجب . جد الحبيب استجلاب الغريب . ماهيته الهمة السنية . الأسوة بالواجب هو التَحَرُّق الأكبر . الترفع الكثير ذات الشقاوة . الخوف والتكذيب والاصطلام عين البعد . إقامة الحق في جميع الأمور حكمة محضة مبشرة . لقاء الرجال طبيعة الخير . استسلام

السالك أصل المناسك . وقتك من أجزاء [٤٧٣] ماهيتك ، فلا تعامله إلا بالخير وأحوال الحياة والسعادة والصعود .
إيه ! الله فقط لا شك في ذلك .

إيه ! قبح الله الوهم ! حرم الذهن والفهم وشغلها عن تصحيفه وقلبه حتى حال بين المرء وقلبه . يعقد على المرء حتى يقسم نفسه إلى غير وخلاف ، ويجعل وحدته تجبر بعد الحصول الطبيعي إلى الائتلاف ، فمنع الواحد من وحدته وصرف المستقيم على حيدته . قاتله الله هو الضد الغاصب والحق الغاصب . ومن جملة ضرره تغاليظه لمن لم تُحَذِّقْهُ العلوم ، ولا أدبته المعارف ، ولا انقاد برعونته قط إلى عارف وألقى عنده أن الوحدة المطلقة والواحد من كل الجهات هو هو لا كما يجب ، ولا على ما يجب ، ولا بما يجده في تصوره وتطوره بل بوهم غير محصل كسبه إهمال رتبة للرجال وأباده شيئاً تستعيز من فتنه فتنة الدجال ثم يعود بعد ذلك به إلى العبد ، بل هو الله بل هو السهو ، بل هو الوهم ، بل هو البهم . وهو لا يهمله وفي ذاته لا يمهله ، وكذلك كل شخص ركب من الجهل والعادة ومن البلادة ، وبعد العبادة يسوى في التخسيس ، ونفخ فيه روح سلب التخصيص . إيه ! قل أعوذ بالله من . ثم أعوذ بالله عن . ثم أعوذ بالله لن . إيه ! هذا الوهم هو الملك ، وهو البحر والفلك ؛ وهو الأرض والسماء ، وهو القصد والعنى ، وهو الذر والهبا . والماء والبرزخ طبيعة البسيط ، والممكن [٤٧٤] والممكنات طبيعة المركبات ، والإحاطة التي قلنا فيها كبيرة وصغيرة ، وآفة وثابتة ، ورئيسة ومرءوسة ، ومحيطة ومحاط بها ، وعامة وخاصة — طبيعة مشتركة ؛ فلا وهم إلا الوهم ، ولا إله إلا الله ، بل ليس إلا الأيس فقط ، وهو هو الله الله الله الله الله الله ! هكذا ورد ، وهكذا وُجد ، وهكذا رُسِم ، وهكذا قُسِم ، وهكذا كان ، وهكذا هو . إيه !

هذا تقييد قليل فيه الحق ، وظهر فيه الحق ، وأما — إله عبد الحق . وبالضرورة أن الفرع محمول على الشجرة ، وبالاتفاق قامت شهرة الواضع من

ضرب سبعة فى عشرة^(١) . والسلام على المنكر والمسلم ، والغايط والمتغالط ،
 والمهمل والمغتبط ، والغافل والمتغافل . فالسلام علىّ إذاً ، ثم السلام عليكم ورحمة
 الله وبركاته ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعلى الجامع لحقائق الأكوان
 بالقصد الثانى ، وعلى الوسيلة المرتكزة بالقصد الأول ، وعلى طالبها بالقصد
 الثالث ، ثم ذلك وما أشبه ذلك ، وعلى آله وسلم تسليماً .

كمل كتاب « الإحاطة » للسيد الشيخ الوارث العارف المحقق سيدى عبد الحق
 ابن سبعين

عبد الرحمن بدوى

(١) $7 \times 10 = 70$ أى ابن سبعين ومعنى شهرته .